الإعلام الغربي وعولمة الشذوذ الجنسي

■ **أسماء عبد العزيز أحمد**

كاتبة وباحثة، دكتوراه في الآداب قسم الإعلام-مصر

ملخّص

أخـذت الأحداث العالمية "البارزة" التي تتناول الشـذوذ الجنسي تؤطـر بوتيرة متزايدة على شـبكات الأخبار الفضائية العالمية والعربية، وهي عتبة لم يكن من الممكن تصور حدوثها قبل عقد من الزمن في وسـائل الإعلام. إنّ هذه المهام "التبشيرية" والخطابات الإعلامية التي ينتجها هذا التيار، والمنظمات التي يمثلها، هي التي تشـكل ما قد يجوز تسميته ب "حلم الأُممية" للشواذ، والذي يُرى من ناحيتهم أنه مشروع استيعابي للحاق بالركـب بسرعة خاصة في الدول الشرقية، التي تُعتبر "متأخرة" نسـبيًا في هذا المشروع الأممي الاسـتيعابي، خاصة في العالمين العربي والإسـلامي. ومن ناحيتنا نرى أن هذا الدافع "الاسـتشراقي" لتوجيه جميع فروع البحث الأكاديمي ومحتوى وسائل الإعلام عن مجتمع وحقوق الشـواذ هو ضمن المهام التبشـيرية لإيجاد أسـس لحلم الشـواذ الأُممـي، حيث يتزايد الرهان على ضرب بوصلة الوعي الجمعي لدى شـعوب بعينها، لتمرير أيديولوجيات مغايرة تمامًا عن ثقافتهم وسياقهم الاجتماعي والاقتصادي، وذلك من خلال استهداف متلقين من نوع خاص، مثل الأطفال والمراهقين؛ لذلك فإن تفكيك الخطـاب الإعلامي الغـربي من الأهمية بمـكان لرصد مدى تمكنه من إخـراج الهوية العربية والإسـلامية من حسـاباته، وتصوير أي تيار مضاد على أنه أمر معيب ومتناقض مع الحداثة.

الكلمات المفتاحية:

عولمة الشذوذ الجنسي- وسائل الإعلام الغربية – الثقافة العابرة للحدود – أُممية الشذوذ – السخافة الثقافية.

مُقدِّمة:

عندمـا ظهرت قضيةُ الشـذوذ الجنسي لأول مرة على السـاحة العالمية، تمـرَّد مجموعةٌ من الشـواذ لأول مرة في شـوارع نيويورك علنًا عام 1969، وهو الحدث الذي عُرف فيما بعد بتمرُّد ستونوول The Stonewall Riots، ولم يكن هذا الحدث إلَّا كاشفًا عن تاريخ ممتد إلى أشكال من السـلوكيات الجنسية الشـاذة التي تشكّلت في أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا منذ القرن الرابـع عشر فصاعدًا، والتي يمكن تسـميتها بالجنس "المتحول إلى سـلعة" و"الجنس المثلي أو المثـلي المتبـادل"، حيث كانا مختلفين عن أيِّ شـكل من أشـكال الجنـس التقليدي، إلى جانب السـلوكيات الشـاذة التي أتى بها الإسـبان والبرتغاليون إلى أمريكا الجنوبية منذ القرن الخامـس عـشر، فقد كان يرتبط بشـكل أو بآخر بالبغاء من أجل المال، حيث لم تنشـأ الحياة الجنسية المتبادلة بالتراضي بين الشواذ والسحاقيات إلَّا في القرن التاسع عشر، إذ ساعد التطور الرأسمالي والتصنيع اللاحق، ودمج المرأة في سوق العمل، وارتفاع مستوى الرفاهية على تكوين مجتمعات للشواذ التي يتم تعريفها الآن بمجتمع الميم (الشواذ جنسيًا) Homosexuality.

حاليًـا يسـتحوذ هذا "المشروع" عـلى الخطاب الغربي السـائد حول حقوق الإنسـان من أجل إطلاقه على نطاق دولي، ففي المجتمع الغربي، تخطَّى التعامل بحساسـية وحذر هذا الموضوع منـذ سـنوات طويلـة، الآن يتم تصدير المشـهد -بعد إخراجـه- إلى المنطقة العربية والإسـلامية ودول الـشرق عبر تيارات من "الأيدلوجيا الناعمة"[1] والتـي تتغلغل في العقل الجمعي من خلال مشاهدات ومحتويات تتناول هذا الموضوع، وعلى خطى الحركة النسائية، التي سعت إلى تعميم قضاياها من خلال فرض نسـويتها "الخاصة" على الحركات النسـائية في دول العالم غير الغربي،

1 - مصطلح تم صياغته من قِبل الدكتور محمد دوير في كتابه (أسطورة نهاية الأيدولوجيا).

وبدأت حركة الشـواذ تتخذ دورًا "تبشـيريًا" -إن جاز التعبير- مُستغلة وسـائل الإعلام وقادة الرأي والمؤثرين، ومن خلال استناد تنظيمي مُمثلاً في المنظمات اللواتي يهيمن عليها الغرب في جميع أنحـاء العالم مثل الرابطـة الدولية للشـواذ ILGA، واللجنة الدولية لحقوق الإنسـان للدفاع عن حقوق "الشـواذ" IGLHRC (والتي سـنتحدث عن دورها لاحقًا) والتي تأسسـت عام 1978 في ذروة حملة حقوق الإنسـان التي قامت بها إدارة الرئيس كارتر ضد الاتحاد السـوفييتي و"أعداء" العـالم الثالث، حيث كان أحد أهم أهدافها هو إنشـاء منظمة للشـواذ ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحولين جنسـياً على المستوى الدولي، وذلك في إطار سعيهم إلى الاعتراف بهم كمجموعة لهـا حقوق دسـتورية وتحرريها من القيود الاجتماعية والقانونية، لا سـيما من خلال المؤتمرات العالمية والإقليمية، مدعومين من قِبل اللجنة الدولية لحقوق الإنسـان، التي تأسست عام 1991، ومهمتها "حماية وتعزيز حقوق الإنسان لجميع الأشخاص والمجتمعات المعرضة للتمييز أو سوء المعاملة على أساس التوجُّه الجنسي، أو الهوية الجنسية، أو المصابين بفيروس نقص المناعة".

في 17 مايـو 2004، أصبحـت ولاية ماساتشوسـتس أول ولايـة أمريكية تُقنِّنُ زواج الشـواذ، (https://www.politico.com/story/2018/05/17/first-same-sex-marriage-in-us-may-17-2004-586604)، فيـما كان يُنظر إليه على نطاق واسـع عـلى أنه حدث تاريخي في أمريـكا الشـمالية، سرعان ما تمَّ توجيه النقاش حول المسـاواة في الـزواج والتّبني إلى أضواء شبكات الإعلام العالمية في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك وكالات الأنباء العربية والإسلامية، وتـمَّ نقلُ وتناول صـور المتظاهريـن والناشـطين و"الأزواج" المبتهجين الذيـن اصطفُّوا في طوابير طويلة خارج قاعة مدينة بوسـطن، فمن الحق في الزواج إلى تجنيد الشـواذ في الجيش الأمريكي، أخذت الأحداث العالمية "البارزة" التي تتناول الشذوذ الجنسي تؤطر بوتيرة متزايدة على شبكات الأخبار الفضائية العالمية والعربية، وهي عتبة لم يكن من الممكن تصور حدوثها قبل عقد من الزمن في وسائل الإعلام.

إنَّ هذه المهام "التبشـيرية" والخطابـات الإعلامية التي ينتجها هـذا التيار، والمنظمات التي يمثلها هي التي تُشـكِّلُ ما قد يجوز تسـميته ب "حلم الأُممية" للشواذ، الذي يُرى من ناحيتهم أنه مشروع اسـتيعابي للحاق بالركب بسرعة، خاصة في الدول الشرقية التي تُعدُّ "متأخرة" نسبيًا في هـذا المشروع الأممي الاسـتيعابي، خاصة في العالمين العربي والإسـلامي، وإلى جانب

الدراسات الأكاديمية حول الروايات التاريخية والأدبية والأنثروبولوجية، التي أُجريت في الغالب بوساطة باحثين أوروبيين أو أمريكيين، والتي تُفسِّرُ أسباب تأخر تطبيع شعوب هؤلاء المناطق مع حركة الشواذ من منظورهم، وتُأصّل لتاريخ الشذوذ وطبيعته بين الماضي والحاضر في العالمين العربي والإسلامي وتسعى إلى تدعيم الشواذ في المنطقة وتحريرهم من الاضطهاد الذي يُزعمون أنهم يعيشون في ظلِّه؛ وهناك أيضًا تقارير صحفية وترويج إعلامي واسع النطاق عن حركة الشواذ عالميًا كمسار حتّمي لابد من الوصول إليه يومًا ما.

ومن ناحيتنا نرى أن هذا الدافع "الاستشراقي" لتوجيه جميع فروع البحث الأكاديمي ومحتوى وسائل الإعلام عن مجتمع وحقوق الشواذ هو ضمن المهام التبشيرية لإيجاد أسس لحلم الشواذ الأُممي، حيث يتزايد الرهان على ضرب بوصلة الوعي الجمعي لدى شعوب بعينها، لتمرير أيديولوجيات مغايرة تمامًا عن ثقافتهم وسياقهم الاجتماعي والاقتصادي، وذلك من خلال استهداف متلقين من نوع خاص (الأطفال والمراهقين لما يُمثلونه من عناصر أساسية وفعَّالة في بناء المجتمع السليم)، لذلك لابد من تناول آليات وسائل الإعلام في السينما والوسائط الإعلامية المتنوعة ودورها في عولمة الشذوذ الجنسي وتأثير ذلك على السلوك الاجتماعي والإنساني خاصة لفئة الشباب.

أولاً: الأطر الإعلامية "لعولمة" الشذوذ الجنسي

■ السياق الأمريكي كثقافة عابرة للحدود:

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أصبح هناك اهتمام أكاديمي متزايد حول العلاقات الجنسية الشاذة، وبدءًا من الثمانينيات أصبح العالم أكثر انفتاحًا على التحولات الجنسية الشاذة، ونرى ذلك في قرارات المؤسسات الدولية والمنظمات العالمية المعنية بحقوق الإنسان وفي محتويات وسائل الإعلام العالمية، ومع مرور الوقت هناك أدلة عالمية حول قبول الشواذ ليس في الدول الغربية فحسب؛ بل كذلك في باقي دول العالم، وإن كان شكل القبول يختلف من دولة إلى أُخرى.

وفي تقرير مركز بيو للأبحاث (https://www.politico.com/story/2018/05/17/first-same-sex-marriage-in-us-may-17-2004-586604) يكشف عن أن هناك اتجاهاً عاماً

متزايداً حول العالم في قبول المثلية الجنسية؛ خاصة في دول الشرق مثل: اليابان والهند وتركيا وغيرهم، ومع ذلك كشف التقرير أيضًا أن هناك بعض البلدان التي لم تسجل أيّ تقدم ذي دلالة إحصائية، وعلى الرغم من الافتراضات العلمية التي تربط التنشئة الاجتماعية والتحولات التي تتعلق بقضايا الشذوذ بوسائل الإعلام، إلَّا أنه لا توجد أدلة منهجية وافية لهذا الغرض، على الرغم من خطورته، وبالتالي فالأمر الذي نريد التركيز عليه هنا هو أن الأطر الإعلامية التي تتناول قضية الشذوذ عبر الدراما والأفلام والموسيقى والكتب والعديد من القنوات الإعلامية الأخرى، تُشجِّع الجمهور على التواصل بين المجموعات البعيدة؛ بل ويصبح محتواها الثقافي عابراً للحدود، بل ولها تأثير على الأطر الإعلامية المحلية التي يُقدِّم من خلالها قضية الشواذ، وهو البعد غير المدروس باستفاضة لعولمة الشذوذ، وبناءً عليه سنتناول في هذا القسم الافتراضات الخاصة بتحول الاتجاهات العالمية تجاه الشذوذ الجنسي في ظلِّ تحليل الأطر الإعلامية التي تناولت تقديم القضية في هذا الموضوع؛ خاصة في السياق الأمريكي بما أنه أقوى سياق إعلامي مُؤثِّر عابرٍ للحدود.

نجدُ في أدبيات العلوم السياسية تحليلات حول الرأي العام المُتعلق بقبول قيم ما ترتبط بالمواقف تجاه الشواذ وحقوقهم، وتتعلق العديد من هذه النتائج بالتركيبة الاقتصادية والاجتماعية في دول "الرفاهية" ومن أبرزها ما قدَّمته نظرية "ما بعد المادية" لتفسير الاتجاه المتنامي حول قبول حركة الشواذ؛ حيث أسَّست النظرية منظورًا نظريًا مركزيًا في دراسة المواقف العابرة للحدود الوطنية منذ أكثر من 40 عامًا، وتمثل أطروحة رونالد إنجلهارت (Inglehart, 2025) منظورًا علميًا مهمًا حول ما يُحرِّك الثقافة والمعتقد خاصة في المجتمعات الاستهلاكية، وسوف نرتكز عليها لرصد المواقف تجاه المثلية الجنسية اعتمادًا على منطقها التفسيري وافتراضها الرئيس؛ والذي يرى أنَّ الشبابَ هم الأكثر احتمالاً لاحتضان قيم ما بعد المادية، من خلال الثورة الصامتة وليس من خلال اعتبار أنها مجرد حالة تغير في دورة الحياة، بل هي مثال حقيقي لاستبدال الأجيال للقيم والمعتقدات، ممَّا تسبب في تغير القيمة بين الأجيال، ولذلك نستمد من الأدبيات النظرية والتجريبية ذات الصلة، وخاصة عبر البلاد التي طُبقت فيها مثل هذه الدراسات التي تُقدم نظرة ثاقبة لفهم التحولات المتزايدة نحو الشذوذ الجنسي؛ لتحليل التناول الإعلامي الأمريكي في الصحافة والدراما والسينما في ضوء هذه

النظرية، وبالتالي نصنع "تخمين مستنير" حول الدور المحتمل لتلك العوامل _التي لم نتمكن من تضمينها في المجتمعات العربية أو الإسلامية_ لكن له الأثر الذي قد يكون له دور في زيادة قبول الشذوذ الجنسي، مع إعطاء الأولوية إلى خصوصية كل دولة.

■ التأطير الإعلامي للشذوذ في السينما:

في السينما، كان إدراج الشخصيات الشاذة في الصناعة السينمائية يُعدُّ انتهاكًا مباشرًا للقانون، لكن الأمثلة الآتية ستُوضِّحُ أنه منذ إنشاء القانون الخاص بذلك في عام 1930 حتى عام 1934، تمَّ تجاهل هذا الأمر إلى حدٍّ كبيرٍ، على الرغم من أن صياغة القانون لـتعبير "الحب غير النقي" داخل القانون، تنطوي على وصمٍ للشذوذ، إلَّا أن إدخال الشخصية المثلية استمرَّ بلا هوادة في صناعة الفيلم الأمريكي، وقد أظهر هذا أهمية الصورة السنيمائية في التأثير على الخطاب العام، حيث قدَّمت قوالب عمَّا يعنيه أن تكون شاذًا جنسيًا من خلال لغة الفيلم ومشاهده.

أنتجـت اسـتوديوهات مترو جولدوين ماير (MGM) فيلـم The Big House في عام 1930، بطولة تشيسـتر موريس، وروبـرت مونتغمري، والممثل الشـهير والاس بيري، وكان الشـعار الخاص بالفيلم الذي أطلقه قسـم العلاقات العامة في الاسـتوديو هو: "في الوقت المناسب! هائِل! مثير! دراما الحب والهروب من السـجن! وتـدور الحبكة حول وقوع أحد المدانين في حب أخت زميله الجديد في الزنزانة؛ ليتورطَ في عملية هروب من السـجن مُخطَّط لها، تسبَّبَ هـذا الفيلـم في قدرٍ كبيرٍ من الذعر داخل مكتب هايز بسـبب تصويره للمدانين المتشـددين، ومسـتوى العنف فيه، ولكن بشكل خاص بسبب محتواه الجنسي "التخريبي" المحتمل؛ حيث تضمن الحوار لشـخصية Beery، وهو شخصية قاسية مثل المسـامير تُدعى"Machine Gun Butch Schmidt، ليعلـن بوتـش أن كينت ليـس لوطيًا على الإطلاق"، وهو يشـير ضمنًا إلى الشذوذ، وكان هناك قلق يتمثل في أن الجمهور سيفهم هذه الدلالة وأن التورية في حوار الفيلم تشـير بوضوح إلى أن الرجال قد يمارسـون علاقات جنسـية مع بعضهم البعض في السـجن، وبالتالي سوف يفهم الجمهور هذا على أنه مظهر آخر من مظاهر الانحراف الجنسي ، ونستطيع القول: إنَّ في هذه الفترة تم تقديم قضية الشذوذ الجنسي في السينما في إطار غير مباشر، تظهر تجلياتها بين السطور، وبالطبع يستطيع الجمهور التقاطها بهذه الطريقة (Urschel, 2015).

ونجد في فيلم Wyler Ben-Hur 1959 من بطولة تشارلز هيستون، قد قدَّم شخصية تُدعى مسالا تصدر تلميحات قوية عن ميولها الشاذ تجاه شخصية بن هور، خلال الستينيات، وبعد إلغاء قانون الرقابة على المُصنفات الفنية، أصبحت الأفلام تميل إلى أن تصبح أقل صرامة فيما يتعلق بالشذوذ الجنسي، وفي حين كانت صناعة السينما أكثر ليبرالية فيما يتعلق بالشذوذ الجنسي، فإن المجتمع حينها لم يكن كذلك، _فرضت أمريكا عقوبات قانونية قاسية على الشواذ جنسياً وتعاملت الشرطة مع تمرد ستونبول بقسوة_ وفيما بعد كان على صُنَّاع السينما التعامل بمراوغة أكثر واستخدام أطر إعلامية أكثر مواربة (Doherty, 1999).

كانت الانطلاقة الأكثر جرأة في ثلاثية Torch Song Trilogy 1988 لبوغارت، عندما قدمت مشاهد صريحة بين ذكرين من شخصيات الفيلم، في إطار رومانسي واستخدام استراتيجية التواصل العاطفي (Green, 1984)، وفي التسعينيات أثار فيلم Basic Instinct"غريزة أساسية" للمخرج Paul Verhoeven عام 1992، قدَّمَ الفيلم شخصيات الشواذ في إطار الشر وقدم الشخصيات الشاذة كمجرمين أشرار ممَّا أثار غضب الناشطين في مجال حقوق الشواذ، في عام 1993، كان فيلم فيلادلفيا للمخرج ديمي أول فيلم يركز على الإيدز والشذوذ بشكل مباشر، إذ صوَّرَ الفيلم الشواذ بصورة إيجابية في إطار "الأقلية" المهضوم حقهم والمُفترى عليهم لكسب التعاطف وتأييد الجمهور، بعد أن تعاملت بعض الأفلام بشكل أكثر صراحة مع المثلية الجنسية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين (على سبيل المثال فيلم Capote لعام 2005 لميلر) (https://www.grin.com/document/337201).

لكن يمكن عدُّ فيلم Brokeback Mountain لعام 2005 للمخرج لي علامة بارزة في تغيير التأطير الإعلامي نحو تقديم الشخصيات الشاذة في الأفلام، حيث كان الفيلم رائدًا في تصوير الشواذ بصفات رجولية وذكورية على عكس القوالب الأخرى التي كان من المعتاد رؤيتهم فيها كشخصيات مُصففي الشعر أو مُصممي أزياء أو من هذا القبيل (Cooper, 2008)،و بالتالي يظهر التأطير غير الاعتيادي للشخصيات انقلاب على التأطير المعتاد، وقد تكررت ادعاءات مماثلة حول "الابتكار" في تأطير الشخصيات الشاذة على امتداد الإنتاج السينمائي من حينها؛ حيث واصلت أفلام هوليوود الأخرى منذ ذلك الحين هذا الاتجاه التصاعدي لتأطير الشخصيات الشاذة.

■ التأطير الإعلامي في الصحافة:

في السياق الأمريكي، حدثت طفرة لا مثيل لها في تناول قضية الشذوذ الجنسي في الصحف والأخبار والدراما، ففي الصحافة المطبوعة منذ الخمسينيات إلى منتصف الستينيات اتسمَّ التأطير الصحفي -وربما وسائل الإعلام الأخرى كالإذاعة والسينما- في هذه الفترة ب"الصمت" تجاه قضايا الشذوذ، ولم تتم مقاطعة هذا الصمت إلاَّ من خلال إعلانات شخصية في الصحف المحلية من رجال يسعون إلى الحصول على أصدقاء ذكور، مع مجلات محلية خاصة تتناول الشذوذ مثل مجلة 1956The Ladder، ومجلة ONE التي كان معظم كُتَّابها من الذكور البيض من الطبقة الوسطى، ومجلات محلية أخرى محدودة التوزيع، أما نقطة الانطلاق في الوسائل الإعلامية المطبوعة كانت المقال المميز عن الشذوذ عام 1965، على النيويورك تايمز ، والذي تناول قصة شاذ أمريكي من أصول هندية، يُدعى إلمر غيج وتناول الكاتب جاك كيرواك ب"قلق" تصوير الشذوذ كتهديد للدور الاجتماعي للذكور، لكن بعد أربع سنوات من هذا المقال حدث تمرد الشواذ المعروف ب أحداث ستونوول الذي غيَّرَ من التناول الصحفي تجاه قضية الشذوذ من وقتها وتحول تأطير القضية من "القلق" إلى "حتمية التغيير"، كما جاء في افتتاحية الصحيفة التي كتبها ريتشارد كونجر: "النقطة المهمة هنا ألَّا ننسى أبدًا، أننا سواء أشرنا إلى جماهير العبيد في أثينا القديمة، أو إلى الفلاحين الكادحين تحت حكم المانشو، أو عمال مناجم الفحم القذرين في منطقة ميدلاندز الإنجليزية في القرن التاسع عشر، أو إلى الزنوج المحرومين في واتس، نرى أنه لا يمكن لأي قطاع كبير من المجتمع أن يبقى في الخضوع المستكين إلى الأبد -يقصد الشواذ- لأن الطبيعة البشرية ليست كذلك (https://daily.jstor.org/one-the-first-gay-magazine-in-the-united-states)، وبالتالي وضع تمرُّد ستونوول نقطة التحول في التأطير الصحفي للقضية، والتي تعاملت مع القضية على أنه اتجاه ثوري لابد من حتمية نجاحه، وهي استراتيجية ما زال معمول بها في الصحف الغربية إلى يومنا هذا.

■ التأطير الإعلامي للشذوذ في الدراما التليفزيونية:

وفي الدراما، بدأ التمثيل الإعلامي للشواذ في التليفزيون الأمريكي في التسعينيات من القرن الماضي، ولعل أبرز التناول الإعلامي كان ظهور إلين دي جينيريس على الشاشات التليفزيونة

الأمريكيــة، خاصة الظهور الأول على برنامج The tonight show مع جوني كارلســون، حيث انطلقت مسـيرتها في تأطير شــخصية المرأة السحاقية من خلال شخصية إلين في مسلسل على شبكة تليفزيون ABC بعنوان: إلين أدَّت فيه دور شخصية إلين مورجان من خلال إطار شخصية هزلية ساخرة لاقت استحسانًا من الجمهور، وعلى مدار عقدين ماضيين، تمَّ تقديم الشخصيات الشاذة والسحاقية في الدراما الأمريكية من خلال إطار هزلي ساخر مُحبب إلى الجمهور، ونجدُ هذا على سـبيل المثال في أعمال رائدة من نوع السـيت كوم Sitcom، مثل المسلسل الأمريكي Will & Grace 1998_2019،على شـبكة تليفزيون UBC، الذي قدَّمَ شــخصية الشاذ في إطار كوميـدي لطيـف ومحبوب اجتماعيًا، والذي عـدَّهُ النقَّاد حينها ثـورة في الدراما لاحتوائه على أكثر من شخصية شاذة ومزدوجة العلاقات، ومسلسلModern Family 2009، الذي استخدم الإطار السـاخر نفسه في عرض الشخصيات الشـاذة في قالب اجتماعي محبوب ولطيف، إلى جانب مسلسـل الدراما الذي قام ببطولته مجموعة من المراهقين، وكان الجمهور المسـتهدف هو فئة المراهقين والشـباب، تناول مسلسـل Glee 2009 ومسلسـل Teen wolf 2011، ظهور الشــخصيات الشـاذة كأبطال مع إطار القوة الخارقـة والصفات النبيلة التي تُقدِّمها الشــخصية الشاذة، والنواحي الإنسانية مع شريكه الشاذ في مشاهد المسلسل، وإلى الآن يغلب على التناول الإعلامي الدرامي لشخصية الشاذ الإطار المرح/الكوميدي/المقبول اجتماعيًا/ الطيب/ المراعي للأصدقاء/ الحنون/ الناجح وظيفيًا/ وغيره من القوالب والسمات الإيجابية، حيث كشفت دراسة حديثة عن الأعمال الدرامية المقدمة على شبكة Netflix أنَّ الشذوذَ الجنسي كان من أكثر القيم الاجتماعية تناولاً على المنصة في عام 2020-2021، من خلال استكشـاف الأطر الدرامية التي تُقدم من خلالها الشــخصيات الشاذة، وانقسمت أشكال السـياقات المروجة للشذوذ الجنسي المقدمـة ضمن الأعـمال الدرامية على منصة Netflix إلى شـكلين، الأول السـياقات الداعمة للشــذوذ الجنسي بشـكل مباشر، يليها السياقات الداعمة للشــذوذ الجنسي بشكل غير مباشر، ويقصد بالسـياقات هنا هو كيفية تقديم Netflix للقالب الدرامي للمشـاهد، يشمل ذلك القصة الدرامية والحوار، والدور الذي تقوم به الشخصيات الشاذة جنسيًا، وطريقة تعامل الجمهور مع تلك الشخصيات والمعالجات الدرامية وما يتبعها من رسائل مباشرة وغير مباشرة، للوصول إلى رسالة يرغب صانع العمل الدرامي إيصالها إلى المشاهد (المحرج، 2022).

يكشـف الطرح السابق أنَّ التأطير للقضية في وسائل الإعلام يعمل بمثابة استراتيجية خطابية، أو ممارسة للسلطة؛ لأنه يُؤثِّر في فهمنا للعالم السياسي والاجتماعي، ويمكن العثور على نمط متميز من الأطر الإعلامية التي قُدِّمت من خلالها الشخصيات الشاذة، فحتى الثمانينيات كانت معظم القوالب الفنية الإعلامية عن الشـذوذ الجنسية في معظم الأفلام تكون غير مباشرة، وهو ما كان يعنيه التعبير عن الشذوذ الجنسي في الحياة حينها، حيث لا يكون التعبير إلَّا بشكل غير مباشر، كما لا يسـتطيع الأشـخاص الذين يظهرون على الشاشة التعبير عن أنفسهم إلَّا بشكل غير مباشر، وعلى الرغم من التحول في الرؤية الإعلامية في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية منـذ التسـعينيات إلى الآن، إلّا أن الأطـر العامة كانـت تنحصر في تقديم الشـواذ بعدِّها أقلية مُهمشـة، ويُعزى جزءٌ كبيرٌ من تحول الشـباب الذين أصبحوا أكثر انفتاحًا على قضايا الشذوذ، إلى وصول مجموعة كبيرة منهم وتعرُّضهم لقضايا أكثر ليبرالية وانفتاحًا وارتفاع تصدير الشواذ في الإعلام الغربي بشكل مطرّد، وتعمَّد تعامل هوليود على تقديمهم في إطار مُحبب، والتأطير الإعلامي بلا هوادة على مدى عقديين ماضيين، إلى جانب التركيز على مبدأ أن الشـذوذ قضية "جينية" لها استنادها في علم الأحياء بدلاً من أنها اختيار حرٌّ لنمط حياة.

بالإضافـة إلى ذلك هناك تيارات مواتية من النخب السياسـية والمنظمات الحقوقية العالمية والمؤسسـات الرسـمية التي تتصدر قضية الشـذوذ جدول أعمالها، على سـبيل المثال، أعلن جيسـون كولينـز، لاعب الاتحاد الوطني لكرة السـلة (NBA) الأمريكي الذي يحظى بشـعبية كبيرة، عن ميوله الجنسية الشاذة في عام2013 (https://www.nytimes.com/2013/04/30/sports/basketball/nba-center-jason-collins-comes-out-as-gay.html)، وكان مـن الملفت التأطير الإعلامي لتغطية كولينز؛ حيث تبنَّت وسـائل الإعلام إطارات داعمة وشـاملة للتغطيـة خاصة أعمدة الرأي في الصحف الأمريكية، وهو ما يُوجد أدلة على وجود اتجاه أكثر تسامحًا بمرور الوقت لقبول اللاعبين الشواذ.

■ رؤية تنظيرية:

هنـاك العديد من النظريـات الاجتماعية والاقتصادية التي تُقدِّم تفسـيرًا للنهج المتزايد حول تغيـير المواقـف عالميًا تجاه العلاقات الشـاذة، كما تربـط الأبحاث المعـاصرة أيضًا التوجَّه

الأيديولوجي للفرد بقبول الشـذوذ الجنسي ،على سبيل المثال، يميل المحافظون إلى تسجيل مسـتويات أعلى من رفض العلاقات الشـاذة مقارنة بالليبراليين، و إنَّ التفسير المطروح في هذ الورقة هو بناء على استشـهادات من التأطير الإعلامي، المسـتمدة بشكل رئيس من الدراسات التي أُجريت على السياق الأمريكي، وهي استشهادات توضيحية لكنها لا تتركُ لنا سوى القليل من "النفوذ" التحليلي لشرح سـبب حدوث التغيير في المواقف عبر سـياقات عالمية ومحلية متعددة.

ووفقًا لنظرية "إنجلهارت" أو ما بعد المادية، تتحول القيم الفردية من القيم المادية، والفيزيائية (الأكل والشرب)، والاقتصادية (الأمن الاقتصادي)؛ حيث ينتقلون من الحاجات السياسية التي تهتمُّ في المقام الأول بقضايا (إعادة) التوزيع، في الوقت الذي يكون الأمان الجسدي فيه أكثر القيم إلحاحًا كما تمُثِّلهُ الاحتياجات الأساسية مثل: الجوع والعطش التي يجب أن تُرضي أولاً لأنها مرتبطة بالبقاء والوجود الإنساني، إلى تلبية القيم الفردية الجديدة للاستقلال والتعبير عن الـذات وتحقيق الذات، بمعنى أن الرخـاء المتزايد هو المحرك الذي يحـرر تدريجيًا جمهور المجتمعـات الصناعية المتقدمة من ضغوط الاحتياجـات التملّكية أو المادية؛ حيث إن الثراء الكبـير الـذي عانت منه أجيال ما بعد الحرب في دول "الرفـاه" قاد البعض منهم إلى اعتبار أن أمّنهـم المادي أمـرٌ مفروغٌ منه، وبدلاً من ذلـك يولون أهمية أكبر إلى أهـداف غير مادية مثل التعبير عن الذات، واستقلال الفرد، وحرية التعبير، والمساواة بين الجنسين، والدفاع عن البيئة، حيث تسـمح مرحلة مـا بعد المادية اللاحقة بالصراع السـياسي حول -ومواقـف أكثر ليبرالية بشأن- حقوق الشواذ.

تسـهم الافتراضية في فهم بروز القضية إعلاميًا وسياسيًا للهويات الجديدة التي يتم الترويج لها، خاصة من المؤسسـات الدوليـة لحقوق الإنسـان، إلى مجتمعات الأمن الدوليـة، التي تأخذ في الحسبان تأثير تدفُّقات المعاملات الاجتماعية والتواصل الثقافي على استيعاب الهويات السياسية والاجتماعية الجديدة على المستوى الفردي، على سبيل المثال، الاتصال والمعاملات الاجتماعية عـبر الحـدود التي تسـاهم في دعم التكامل الأوروبي لـكل دول الناتو، هـذه التفاعلات، بما في ذلـك تلك التفاعلات "الرمزية والاقتصادية والمادية والسياسـية والتكنولوجية يمكن أن تُؤدِّي إلى عمليات التنشـئة الاجتماعية على المسـتوى الفردي التي يمكن أن تسـهم في تغيرُّ المعتقدات أو

تغيير تصورات الأفراد في تلك المعتقدات بسبب التعاطي الإعلامي المكثف لها أو الملاحظات والقوانين العالمية، أو الممارسة الجديدة لها التي نتج عنها التطبيع مع الشواذ جنسيًا بشكل عالمي.

وفي هذا السياق يصف عبد الوهاب المسيري سمات هذه المرحلة بأنها تتسم بحمولات لا إنسانية، فهي تسعى إلى ترسيخ فكرة الإنسان صاحب البُعد الواحد، فأيُّ إنسان له حدود إنسانية خاصة وهو قادر على تغيير قيمه بين ليلة وضحاها، ومن هنا تظهر دعوات الدفاع عن حقوق الشواذ جنسيًا والتمركز حول الأنثى والحق المطلق في أن يفعل الفرد ما يشاء، كما تتسم بغياب المرجعيات وتآكل الذات وهيمنة النسبية واللايقين، فهي لا تعترف بأي مرجعيات إنسانية أو موضوعية، فيتسم العالم بالتفتت، والانقطاع والفوضى، وحكم المصادفة وغياب السببية، وظهور الاحتمالية والتغير الكامل والمستمر، وبهذا تصبح المعرفة الإنسانية الكلية متعذرة، كما تم القضاء فيها على مفهوم المركز، فأصبحنا بذلك أمام تعدد المراكز، وجراء هذا التعدد أصبح من المتعذر على الإنسان أن يتجاوز حدوده المادية الضيقة، ويضرب مثالاً على هذا من عمق تجربته في أمريكا، فيحكي أنه قبل عام 1965م كان لباس المرأة الغربية محتشماً نسبياً، أما بعد هذا التاريخ تنامت ظاهرة العري، وتزامناً مع هذا برزت ظواهر أخرى كالشذوذ الجنسي، والحمل السفاح بين المراهقات، وانتشار المخدرات، وتآكل الأسرة، والحمل خارج إطار الأسرة، وتقديس اللذة (المسيري، 2002).

في النهاية، نحن نختبر فقط فرضية "عولمة" الشذوذ باستخدام استطلاعات القيم للمنظمات العالمية والأوروبية، ووفق ما قدمته وسائل الإعلام من تأطير للقضية على مدار عقود ماضية، حيث نعتقد أن في ظل السيولة وهيمنة قيم ما بعد المادية على الدول الداعمة للشذوذ الجنسي، فإن الثقافة العالمية حينها تكون ثقافة عابرة للحدود الوطنية؛ حيث يوضح المقال أن تأطير وسائل الإعلام والصحافة والسينما لقضايا الشذوذ قد يرتبط بمواقف أكثر قبولاً بين الشباب، نعتقد كذلك أن تعرض هؤلاء للشذوذ في وسائل الإعلام يتزامن كذلك مع الاتصالات التي يجريها الشباب مع الشواذ وقضاياهم على أرض الواقع من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وبث طرق أخرى للتنشئة الاجتماعية، ومهما كانت الصورة الإعلامية التي تؤطر بها قضية الشذوذ الجنسي، ومهما كان ذلك بديلاً عن الاتصالات الشخصية معهم، فإن وسائل الإعلام رغمًا عن ذلك مازالت أداة تقدم من خلالها مناقشات جديدة، وأطراً مرجعية جديدة حول العلاقات الشاذة.

ثانياً: نحو حلم "أممي للشواذ"

■ التشريع والتبشير:

إن التحـول إلى منظور عالمي موحد تجاه قضية الشـذوذ الجنسي ليس مجرد ظاهرة أمريكية أو أوروبيـة غربيـة، بل هـو ظاهرة كذلك لها نطاق واسـع - وإن كان بمعـدلات مختلفة - في أجـزاء مختلفة من العالم، حقوقيًا اعتمد قرارًا خاصًا في عام 2019، بإنشـاء خبير مسـتقل في الحمايـة من العنف والتمييز على أسـاس التوجه الجنسي وأصدرت منظمة الهوية الجنسـية، النسخة الثانية من التقرير المعنّون: "ولدوا أحرار ومتساوون: التوجه الجنسي والهوية الجنسية والخصائص الجنسـية في القانون الدولي لحقوق الإنسـان" والذي ركز على المواد الآتية:(1) حماية الأفراد من العنف (2) منع التعذيب والمعاملة القاسـية واللاإنسـانية والمهينة والعقوبة أو المعاملـة (3) مناهضة القوانين التمييزية (4) منع التمييز على أسـاس التفضيل الجنسي (5) حرية التعبير والتجمع وتكوين الجمعيات (Young-Schlee, 2023)، وهو يعتبر تأسيس موحد لحقوق الشـواذ التي أمضـت المنظمات الحقوقية وقتًا _غير طويل_ في تطوير مواده اسـتنادًا على قوانين منظمات حقوق الإنسان وهو الحق في تقرير التوجه الجنسي.

عنـد النظـر إلى المواد القانونيـة التي تؤيد تشريع العلاقات الشـاذة، فـإن بعض المنظمات الدولية تدعم الشـذوذ بمختلف تنويعاته، وتقدم أدلة مهمة تثبت أن الشـذوذ له تأثير جيد على المجتمعات، بالإضافة إلى ذلك، تم وضع بعض القوانين للسـيطرة على باقي البلاد الأخرى، ومنـع مقاضاة أو اضطهاد الشـواذ في مناسـبات عالمية (كما حـدث في مونديال قطر 2022) وتعميـم هذا الاتجـاه عالميًا، وكما رأينا عندما قررت فرنسـا في قانون آخـر حظر كلمتي "أم" و"أب" من جميع الوثائق الرسـمية والمناهج التعليمية في إطـار مخطط مثير للجدل؛ لتشريع زواج الشواذ وتطبيع الشذوذ للطلبة في سنوات الدراسة التأسيسية، كما أدرجت لجنة الحقوق الجنسـية مواد قانون صاغته مجموعة دولية من المدافعين عن صحة المرأة الذين شـاركوا في مؤتمـرات الأمـم المتحدة التي عقدت منذ التسـعينيات، كما أوردوها لُغويًـا في مواد اللجنة، تشـمل هذه الحقوق حق الإنسان في "تجربة حياة جنسـية ممتعة"؛ حيث تربط مواد "الحقوق الجنسـية" مع حقوق الإنسان الأصيلة لجميع الأشخاص فيما يتعلق بالتعبير الحر والمسؤولية

عن حياتهم الجنسية وسيطرتهم على أجسادهم، وحقهم في ممارسة الشذوذ بما يناسب تفضيلهم الجنسي.

إن هذه القوانين "التقدمية" التي تنتجها منظمات عالمية مثل منظمات حقوق الإنسان الكبرى التي تتخذ من الولايات المتحدة مقراً لها مع (هيومن رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية) والعديد من المنظمات النسوية الغربية البيضاء، ما دأبت على ترويج الخطاب العالمي الداعم للشذوذ ومناصرتها للاتجاه العالمي الناشئ أو حلم الشذوذ الأُممي، و"تحرير" باقي شواذ العالم لا سيما في العالم العربي والإسلامي من القيود الدينية والاجتماعية والسياسية، وتغليف حراكهم بالنكهة "الثورية" ورسم مساعيهم بتصورات عن النضال والحرية والمساواة، وذلك من خلال تحويلهم من ممارسي الشذوذ بشكل خفي، إلى أشخاص يُعرّفون أنفسهم علنًا بأنهم شواذ جنسيًا؛ حيث يمكن أن يكون الفرد مع أو ضد العلاقات الشاذة فهي -بحد تصريحهم- مثل أي قضية أخرى قابلة للنقاش، الأمر الذي يضر بأي حراك ثوري آخر لأنه قد يُحسب على الخطاب الداعم للشذوذ.

قد يبدو الأمر بسيطًا بالمقارنة مع حقوق الإنسان الأخرى، لكن المحو الثقافي المصاحب هو ما يمثل مشكلة خاصة عند تحليل الثقافة العالمية الجديدة التي تنشرها وسائل الإعلام -كأدوات ناقلة للثقافات عبر الحدود- وتحت رعاية نفس المنظمات الدولية والنخب وغيرهم من حراس وسائل الإعلام، ودور هذه "الجهات الفاعلة"، على الرغم من أنها سلطة "غير مُلزمة" قانونيًا على المستوى الوطني، لكنها تؤثر بدورها على المواقف العامة، حيث يتم إدماج الشذوذ على أنه ضمن عناصر الثقافة العالمية بل ويشكل أساسًا مكونًا لها، ومن ثم فإنها تشكل نظريات وظيفية تعمل كأيديولوجيات للاسترشاد بها، على اعتبار أن للثقافة وظيفة عالمية متفق عليها في "الأوصاف المنطقية" والنظريات العلمية الاجتماعية حول "الطريقة التي تعمل بها الأشياء"، هو ما يخلق مبررات وظيفية وعلاقات سببية لإنشاء اتجاه أُممي لقضايا الشواذ.

نحو "هيكلة" الحلم الأممي للشواذ:

من خلال ما تطرحه نظرية المجتمع العالمي، فإن العالم إما فوضوي (تسعى الجهات الفاعلة لتحقيق مصالحها دون تدخل من هيكل السلطة الشامل) أو متشابك (تبني الجهات الفاعلة عمدًا أنظمة مترابطة للمنافسة الاقتصادية والسياسية من الألف إلى الياء)، وبذلك يتم تفسير

الثقافــة العابرة للحدود على محمــل الجد بين هذين الاتجاهين، لكــن في بعض الأحيان يتم حــصر تأثيرها في عمليــات الهيكلة التي يُعمل بها على المســتويات المحلية أو الوطنية، ففي عالم متصل بشــكل متزايد، نفترض أن التأثيرات الناجمة عن الاتصالات الافتراضية من خلال التعرض الإعلامي لقضايا الشــواذ سيســتمر عبر الحدود الوطنية، لذلك نتوقع أن تُخلّف هذه التأثيرات على الجمهور _حســب الفئة العمرية؛ نظرًا لأن الجماهير الأصغر ســنًا في ســنواتها القابلة للتأثر من المرجح أن تغير وجهات نظرها بما يتماشى مع المعلومات الجديدة المنقولة منذ التسعينيات_ اتجاه عابر للحدود لتكوين مجتمعهم المزعوم كالتالي:

الأول، تقوم "الجهات الفاعلة" المعاصرة، بما في ذلك الدول القومية الوطنية، بتنظيم نفســها وإضفــاء الشرعية عليها بشــكل روتيني من حيــث النماذج (العالمية) العالميــة مثل المواطنة، والتنميــة الاجتماعيــة والاقتصادية، والعدالــة العقلانية، والتنمية المســتدامة، فالدول تنشــئ المعاهــدات والبروتوكــولات وتتبنى قــرارات المنظــمات العالمية مثل بنود حقوق الإنســان وقرارات لجنة العفو الدولية وغيرها.

الثاني، مثل هذه النماذج منتشرة إلى حد كبير على المستوى العالمي، مع قدر كبير من الإجماع عــلى طبيعة وقيمــة أمور مثل المواطنــة وحقوق الإنســان، والبيئة والبحث العلمــي، والتنمية الاجتماعيــة والاقتصادية، والتعليم، على ســبيل المثال، تصر الشرعيــة الدولية على أن التعليم الرســمي ضروري ومفيد للنمو الاقتصادي، والإبداع التقني، وولاء المواطنين، والمؤسســات الديمقراطيــة، ونادرا ما يتم التشــكيك في مثل هذه المبررات الشرعيــة للتعليم، فتطبق الدول بروتوكولات واستراتيجيات وتوصيات المنظمات والمؤسسات الدولية.

الثالث، تعتمد النماذج على ادعاءات بإمكانية تطبيقها عالميًا؛ على سبيل المثال، من المفترض أن تكون النماذج الاقتصادية للتنمية والسياســة الماليــة والرعاية الصحية قابلة للتطبيق في كل مكان، وليس فقط في بعض المناطق أو الدول.

بالتــالي فالثقافــة العالمية من الناحية الوظيفية مادة تعبيرية تدمــج الجماعات أو تدعم هيمنة الجهــات الفاعلة القوية لما فيه صلاح الإنســانية، ومن هنا نــرى أن للثقافة العالمية خصائص "مولدة" للمعنى من الممكن "استيرادها" معرفيًا لمساهمة في خطط التنمية والتطوير، ومن هنا يتحدد البعد الثقــافي للمجتمع العالمي، والنماذج المعرفيــة والأنطولوجية للواقع التي تحدد

طبيعة وسيادة وسيطرة وموارد الدول القومية والجهات الفاعلة الأخرى (منظور التشابك)، وهذه الأبعاد هي المنظمة للدول والمجتمعات والأفراد، وهي الأكثر إدراكًا وعقلانية من الجهات الفاعلة المحلية.

الطرح السابق هو ما يفسر ما يحدث الآن من حركة "تعميمية" لتطبيع الشذوذ، حتى في اختيارهم لعلم "قوس قزح" تحديدًا -المحبب لنا من وقت أن كنا أطفالاً- واستغلاله لجعله شعار ظاهرة خارجة عن الطبيعة الإنسانية، أصبح اقتران ألون قوس القزح الجميلة لا إراديًا في رؤوسنا يعكس الشذوذ من خلال تلاعبهم في الصورة الذهنية، وإضفاء المفاهيم قسريًا على مسيرات الشواذ الشهرية وإطلاق مسميات مثل "شهر الفخر" والتلاعب بالمصطلحات، وترهيب المختلف أو المنكر لقضايا الشذوذ، واعتباره في ذيل الحضارة ذلك عندما توصم الدول الممانعة -على استحياء- بتطبيع الشذوذ بأنها رجعية ومتخلفة عن الركب، نقارن هذا بطريقة عفوية بين هذا الاتجاه الأُممي القسريّ وبين حركات أخرى أُعتبرت ثورية مثل حركة الحقوق المادية في الستينات، فإن ما يسمى "بالثورة الجنسية" التي تحدث في الغرب الآن هو تجسيد لما يحدث عندما يغيب سقف المتع والملذات الحسية، بسبب غياب العقلانية عن أهداف الحراك الجنسي الغربي الذي فاقم الوضع إلى حد أن وصل معه الأمر لذروة الذروة، فعندما يُرى أن "المصلحة الإنسانية" تقتضي بتشكيل أُممي للدفاع عن حقوق الشواذ، وتجنب أي عائق بأي ثمن وبأسرع وقت وبأقل مجهود، يصبح الشغل الشاغل للأمم فقط هو نصيبها من المتع والملذات، غالبًا ما يكون هذا السيناريو هو سيناريو نهاية الحضارات، كما حدث في فترة "الخبز والسيرك" التي كانت في نهاية الإمبراطورية الرومانية، عندما اهتم الشعب بالملذات وسقطت الإمبراطورية في يد الغزاة الجيرمان، بالفعل لا يوجد الآن امبراطوريات أو رومان أو عبيد، لكن يوجد المعادل الشكلي والنسقي منهم، فالأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية ومنظمة حقوق الإنسان وكل الداعمين لقضايا الشواذ هم الإمبراطورية الحديثة، وكل المناصرين والمنتفعين من تعميم هذا الاتجاه وجعله اتجاه عالمي هم كما الرومان الغارقين في اللذة، وكل المكبلين والمفروض عليهم قسريًّا هذا الاتجاه من الدول أو الشعوب هم العبيد الذين لا حول لهم ولا قوة أمام هذا التيار الأُممي الجديد.

■ استشراق من نوع آخر:

وفي هذا الإطار المعاصر، يطرح جوزيف مسعد رؤيته في مقالته المثيرة للجدل "إعادة توجيه الرغبة" (Hamdan, 2015)، حيث يرى أن "منظمة الشواذ الدولية"، التي يعرّفها على أنها اتحاد "فضفاض" من المبشّرين والناشطين والعلماء الملتزمين بتعزيز حقوق الشواذ والسحاقيات ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحولين جنسيًا (LGBT)، وهي مجرد مظهر آخر من مظاهر الإمبريالية الثقافية التي مورست مع وصول الفرنسيين والبريطانيين للشرق الأوسط.

علاوة على ذلك، يرى مسعد "العدوانية" في أجندة "منظمة الشواذ الدولية" ILGA، بل أنها المسؤولة عن الكثير من ردود الفعل العنيفة ضد الشواذ، خاصةً في العالم العربي، رد الفعل العنيف هذا، الذي يعرّفه بأنه "التحريض على الخطاب" لم يؤد فقط إلى تأجيج اضطهاد ممارسي العلاقات الشاذة، ولكنه شجع على ردود الفعل العنيفة ضدهم، باختصار، يرى مسعد أن هذه "المنظمة الدولية للشواذ" هي خط المواجهة في المعركة بين أشرس المدافعين عنها والمعادين لفلسفتها (Massad, 2002)، بالتالي تصبح المنظمة يتعلق المنظمة الدولية "كمساحة للمبشرين" مؤلفة من المؤسسات والجهات الفاعلة والأفراد الذين يتم حشدهم من أجل تعزيز أجندة الحقوق الجنسية العالمية، أما الأمر الآخر فهو أن مثل هذه المنظمات الدولية تعمل كإطار أيديولوجي يتكون من مبادئ وافتراضات يتم نشرها عبر العالم، وعلى هذا النحو، تعتبر أُممية "الشواذ" بمثابة استعارة نظرية للاستشراق ما بعد الاستعماري -على حد تقدير مسعد- وهي بالتالي تُنسب إلى فئة الوكلاء الذين يعملون بنشاط نيابة عن مبادئها.

تتكون المجموعات والمنظمات الدولية المشاركة في العمل "التبشيري" من جماعات حقوق الإنسان البيضاء والغربية (على الرغم من أن مسعد أرجع هذه الإشارات أيضًا إلى جماعات نشطة للمطالب بحقوق الشواذ العرب العاملة على استحياء)، ويخص مسعد اللجنة الدولية لحقوق الإنسان للشواذ كمثال على هذه المؤسسة التبشيرية؛ ويقول إن بيان مهمتها هو بمثابة ديباجة لمهمة منظمة الشواذ الدولية الأوسع IGLHRC المتمثلة في "حماية وتعزيز حقوق الإنسان لجميع الأشخاص والمجتمعات المعرضة للتمييز أو سوء المعاملة على أساس التوجه الجنسي أو الهوية الجنسية أو حالة فيروس نقص المناعة البشرية"، والتي تأسست

في عـام 1990، وأصبحت واحـدة من أقدم وأبـرز مجموعات الدفاع عن الشـواذ ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسـانية في الولايات المتحدة مع ناشطين عالميين واسعين آخريـن، ويمتد نشـاطهم إلى أمريكا اللاتينية، وأفريقيا جنوب الصحـراء الكبرى، ومؤخرًا إلى منطقـة البحـر الكاريبي، كما أنها تتمتع بحضور سـياسي قـوي في الكونغرس؛ حيث عملت مع الكونغرس بشأن تشريعات اللجوء (https://www.refworld.org/docid/5072d0a92.html.) بالإضافـة إلى ذلك، تتمتع المنظمة بسـجل قوي في التعـاون مع مجموعات حقوق الإنسان الأخرى مثل منظمة العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش، بالنسبة لمسعد، فإن النطاق العالمـي لمهمـة المنظمة IGLHRC ونشـاطها العالمي يجعلها مثالاً نموذجيًا لحلم الشـواذ الأُممي.

يحدد مسـعد كذلك عددًا من الخصائص التي يدعي أنها متأصلة في جميع المشـاركين في منظمة المثليين الدولية، كإطار أيديولوجي، في سمتين:

السمة الأولى أنها تعزز الاستشراق من خلال الاستمرار في اعتبار العالمين الإسلامي والعربي "أماكـن خاصـة" في خطاباتهـا وخططها القادمة، ويستشـهد ببيان أدلت به ليـزا باور _الأمينة المشـاركة للرابطة الدولية للمثليين والمثليـات (ILGA)_ والذي ظهر في مجلة OUT كمثال تطبيقـي على ذلك، نقتبس من البيان: "معظم الثقافات الإسـلامية لا ترحب بالمثلية الجنسـية (الشذوذ الجنسي) على الرغم من أن المثلية الجنسية الذكورية متأصلة في جذورها الثقافية!... معظـم الناس رافضـون للغاية والآخر متوتـرون بحيث لا يتمكنون مـن التنظيم والإعلان عن أنفسـهم، حتى في البلدان التي بها مسـتوى عالٍ من العلاقات الجنسـية الشاذة"، يمثل تعليق ليزا باورز كما حلله مسـعد على أنه مظهرًا معاصرًا لكيفية نظر القوى الاسـتعمارية إلى الحياة الجنسية العربية، وهو ما يعيد تجسيد التصورات الجوهرية للجنس في العالم العربي والإسلامي باعتبارها تصورات معادية وتنذر بالخطر ولابد من تعديلها.

السـمة الأخرى التي يكشفها هي تأكيده على أن منظمة الشـواذ الدولية "عالمية" في أفكارها ونشـاطها بـل عالمية في معتقداتهـا ورغبتها، وأن فهمهـا للجنس يتجاوز الحـدود التاريخية والثقافية والجغرافية _ وهو ما يسـتتبع تأكيد فكرة عولمة التيار الأُممي المرغوب به_ وفي هذا يكتب:

"نفترض من هذا الخطاب أن الشـواذ جنسيًا هم فئات عالمية موجودة بشكل استباقي في كل مكان في العالم، واسـتنادًا إلى هذه "البديهية" التي يزعمونها، تتخذ المنظمة الدولية من نفسها وظيفة المدافع عنهم من خـلال المطالبة بحقوقهم، بذلك، تنتج منظمة المثليين الدولية تأثيراً أقـل من التحرري ويضيف أن يجب أن يُنظر إلى تعميم فئة الشـواذ جنسـيًا من قبل جماعات حقوق الإنسـان الدولية على أنه "عنف معرفي وأخلاقي وسياسي" (Massad، 2002)، وبعبارة أخرى، فإن تعميم هذه الفئات هو شكل آخر من أشكال الإمبريالية الجنسية الغربية التي يردون أن يطبقونها عالميًا

الجملة الأخيرة من هذا الاقتباس هي مقدمة مباشرة لمفهوم مسعد عن التحريض في الخطاب الأممي الشـاذ؛ حيث يرى أن المنظمة الدولية للشواذ مصدر دائم لخطاب التحريض المقلق، والـذي يمثل من الناحية التجريبيـة ظهور رهاب المثلية في المجتمعـات التي لا تتقبل اتجاه هـذا التيار، بمعنى إنه يفرض بناءً ثنائيًا أنطولوجيًا للجنسـانية على الذات العربية التي لم يكن لهـا تقليديًا هذا الاتجاه في ثقافتها الأصيلة (مثل هذ الفئات الجنسـية المماثلة من التفريعات الجديـدة ومعها ما يُطلق عليه "رُهاب المثلية" الذي لم يكـن موجودًا أيضًا في الثقافة العربية) ومع ذلك، يشـير مسـعد أيضًا إلى أن الخطاب المناهض للشذوذ في العالم العربي الإسلامي يُذكرنا بشكل متزايد بالنغمات البلاغية والمعجمية لنظيره الغربي اليهودي/المسيحي في الغرب في الخمسين عامًا الماضية، فلا يقدم أبعد من "المحظورات" الأخلاقية والدينية التي لا تلاحق العديد من الموضوعات المتجددة للشذوذ الجنسي التي تظهر في الغرب، على سبيل المثال، تأثـير القوة الناعمـة التي غالباً ما تكـون نتيجة ثانوية غـير مقصودة، ومن هنـا نفهم ما يفعله مشـاهير هوليود اليوم وتسـابق كلٍّ منهم في تقديم نفسـه كداعم أصيل للقضية، مثل: أنجيلينا جـولي، ميغان فوكس، أديل، تشـارليز ثيرون، الذيـن كانوا من الروَّاد في تبنِّـى أطفال بغرض تحويلهم جنسـيًا، وعدِّهم من الشـواذ أو الكويريين _على الرغم من أنهـم مازالوا أطفالاً غير قادرين على اتخاذ قرارات مصيرية_ لكن تحت بند تسليع العواطف والمشاعر، هم في حقيقة الأمر يُروِّجوا لاتجاه عالمي مسـتفيدين من شـهرته وراهنيته و"أمميته" المزعومة لتوفير ترويج ذاتي لهم ولأعمالهم وليبقوا متصدرين المشهد بأنهم رُواد هذا الحراك ومؤثرات على جماهير عريضة من الناس.

ثالثاً: "السخافة" الثقافية: إلى أين؟

نشرت صحيفة National Post الكندية تقريرًا عن حركة تُسمَّى "قابلية التحول"، وذلك عندما قطع رجل ذراعه اليمنى باستخدام "أداة كهربائية حادة جدًا"، جعل الرجل -الذي يطلق على نفسه الآن اسم One Hand Jason- الجميع يعتقدون أنه كان حادثًا، لإخفاء رغبته في أن يصبح معاقًا، أيضًا تم الإعلان عن امرأة من كارولينا الشمالية وضعت في عينيها منظف للأحواض لأنها شعرت أنها من المفترض بها أن تكون كفيفة، كما أعلن رجل بالغ عن رغبته في الحصول على مربية مقيمة بأجر مُجزٍ؛ لأنه يُعرِّف نفسه بأنَّهُ: رضيع (Boesveld, 2015)!

ربما تكون تلك الحوادث غريبة الأطوار، أو ربما -من جهة أخرى- أن يكون لأيّ إنسان الحق في أن يعرّف نفسه كما يريد، السؤال هنا هو من له حق إقرار مدى أخلاقية هذه الأفعال في تلك الحالات؟ خاصة إذا كان هذا هو شعورهم الحقيقي وتصورهم عن أنفسهم؟ إذا كانت الإجابة لا، سيكون الردّ وما المانع في ذلك؟ حسنًا، ماذا لو عكسنا الأمر، هل يمكن لطفل أن يعرّف نفسه بأنه رجل بالغ؛ لأنه يشعر بالبلوغ؟ هل بإمكان المراهق أن يحوز سلاحاً ما أو أن يشرب الكحول؛ لأنه يعرّف نفسه على أنه رجل بالغ تعدَّى السنَّ القانوني؟ هل يمكن لطفلة أن تذهبَ إلى ملهى ليلي بدلاً من المنزل لأنها تشعر أنها امرأة ناضجة؟ هل يمكن لطفل ذي أربع سنوات أن يقضي يومه في مزرعة حيوانات بدلاً من المدرسة؛ لأنه يُعرِّف نفسه على أنه أرنب؟ إذا كانت الإجابة لا، سيكون الرّد كذلك وما المانع لذلك؟ فإذا أراد رجل أن يكون طفلة بعمر الخمس سنوات فقط؛ لأنه يعرّف نفسه على أنه طفلة في الخامسة من عمرها هل يمكنه ارتياد الحضانة وهو في الخمسين من عمره؟ وإذا أرادت امرأة أن تكون رجلاً؛ لأنها تشعر أنها كذلك، أو إذا أرادت امرأة بيضاء أن تصبح سوداء؛ لأنها أرادت أن تشعر بذلك أيضًا، وإذا قرَّر آخر الحصول على مُربية لأنه يشعر أنه رضيع، إذًا أين يمكن أن ينتهي هذا كله؟ لو أمكن للطفل أن يصبح متحولاً جنسيًا؛ لأنه يشعر وكأنه فتاة، كيف يحق لنا إذاً أن نطلب منه حضور يوم دراسي أو إطاعة الوالدين أو منع إعطائه الكحول عندما يطلب ذلك؟ هل من المنطقي أن نُطبِّق كلتا الفرضيتين: إذا قام رجل بالغ بعدِّ نفسه طفلاً؛ لأنه يشعر بأنه طفل محاصر في جسم رجل بالغ (هل ننتهك حق الرجل بمنحه الحب والرعاية اللذان يستحقهما الأطفال) أم ننتهك

حق الأطفال في الحصول على رعاية ذويهم لهم؟

ربما لم يسمع معظم الناس عن حركة "قابلية التحول" هذه، والتي تختلف كليةً عن التحول الجنسي، فالتحول الجنسي هو مصطلح شامل لحالة أو تحديد حالة أو التعبير عن الهوية الجنسية التي لا تتطابق مع النوع الجندري/الجيني للشخص، أمَّا قابلية التحول فهو مصطلح شامل تم تطويره داخل مجتمع الأفراد الذين يُعدُّون أشخاصًا قابلين للتحول، أيّ الأشخاص الذين لديهم رغبة مستمرة في اكتساب إعاقة جسدية أو السعي إلى الانتقال الاختياري للجسم من قادر إلى مُعاق، الآن وبعد ظهور تيار المثلية بتفريعاتها المتجددة من المتحولين، وعابري الجنس، وعابري الإعاقة Transabled (أشخاص يشعرون بأنهم كان من المفترض بهم أن يولدوا معاقين)؛ حيث أصبحت قائمة الشذوذ الجنسي طويلة؛ فمن متحولين، إلى عابري الجنس، ثم متحولي الإعاقة، ثم مزدوجي التوجُّه، إلى القابلين للتحويل، تُرى ماذا سيكون التفريع الآتي في قائمة الشذوذ الجنسي؟ حقيقة الأمر ليس باستطاعتنا إيقاف القائمة؛ لأنها مفتوحة النهاية.

هؤلاء الأشخاص يدَّعون بأن لديهم اضطراب في هوية تعريف أجسادهم، فهم لا يشعرون أن جسدهم يتطابق مع واقعهم الداخلي، بمعنى أن أجسادهم المادية الخارجية لا تعكس صورتهم الجسدية الداخلية لهم، وهذا الانزعاج يُسبب لهم معاناة عاطفية شديدة، بالتالي يتخيلون أن الراحة لن تأتي إلاَّ عندما يتمكنون من تغيير مظهرهم الخارجي (الزائف) ليعكسَ حالتهم الداخلية (الحقيقية)، إنهم يؤمنون بأنهم لا يمكنهم أن يعيشوا حياة سعيدة ومرضية إلاَّ عن طريق إزالة أعضائهم التناسلية والخارجية جراحيًّا، وبمجرد إجراء الجراحة لهم، عندها فقط سيصبحون سعداء وقادرين على تقديم "شخصيتهم الحقيقية" للعالم.

لكن السؤال المطروح هنا: هل يجب على المجتمع أن يدعمَ مثل هذه الحالات في قرارته بإجراء مثل هذا التحول حتى ولو بجراحة؟ هل هناك أبحاث طويلة المدى على مثل هذا التيار الجديد من متحولي الإعاقة؟ هل الأمر فعلاً مُتعلق باضطراب نفسي للأفراد أم أن الأمر تحولَ إلى سخافة ثقافية؟

في حين أن معظمنا قد يقول إنَّهُ لا ينبغي لنا أن ندعمَ مثل هذه الحالات (بل ولا نستطيع أن نفهم لماذا يجب أن يُعدَّ هذا سؤالاً جديًا بالأساس)، فإن آخرين، وخاصة "حلفاء" ومناصري

" الشـواذ ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسـية قد يُجيبون بأن هؤلاء الأفراد لا ينبغـي أن يحظوا بالدعم فحسـب، بل يجب أن يتـمَّ الثناءُ على "شـجاعتهم" في القيام بذلك التحوُّل الجذري.

إلى هـذه المجموعة الثانية من المناصرين أريد أن أضيـفَ نقطة واحدة للتوضيح: إنَّ هؤلاء الأفراد ليسـوا متحولين جنسيًا ولكنهم قابلين للتحول الجنسي، حسنًا قد يغير هذا من دعمكم لهـذه القضية، والأهم هل فكرتم كيف يمكن للمجتمـع أن يكون قادرًا على التجاوب أخلاقيًّا واجتماعيًّـا وتشريعيًا مع كل هـذه التنويعات الخاصة بالمثلية الجنسـية الغربية، حيث تغليب المشاعر الفردية في ظلِّ غياب سقف المتع الحسيّة على الحقائق الموضوعية؟

هذا الأمر بحاجة إلى الدراسـة والفحص من قِبل المجتمعات المفتوحة، ولابد لنا من تناوله كذلـك قبل أن نخوض مثل هذا الجدل في الوطن العربي ونفتح على أنفسـنا بابًا من التلاعب بسياسـات الهويـة والوصـول إلى نقطة اللاعودة، والبـدء في فهم ورصـد ومراقبة المؤشرات المُؤثرة في هذا التحول "الوارد"، ولابد من عدم تجاهل الموضوعية والجدية في طرح مثل هذه القضايا، وواقع التغير العالمي على مُناصري الشذوذ في الوطن العربي قبل أن يفتح ذلك التيار البـاب لقائمة عربية أخرى من المتحولين، وعابري الجنس، وعابري الإعاقة، وعابري السـنِّ، وعابري الفصيلة، وعابري الأشياء والقائمة تطول إلى حدٍّ نصل إلى مرحلةٍ من السخافة الثقافية التغريبية (ترسيخ قيم المجتمع الغربي داخل المجتمع الشرقي)؛ لأنه قد بدأ للتوِّ؟

خاتمة

مـن المهم جدًا أن نُـدركَ أنَّ التعاملَ مع الحداثـة ليس اختياريًّا، لكن عـلى الجانب الآخر، لابـد أن نُوجد قائمة "انتقائية" يمكن للمجتمع مـن خلالها انتقاء واختيار العناصر التي يريدها لأغراضه الخاصة ويقرر ببسـاطة تجنُّـب بعض الجوانب الأخرى المتأصلـة في الحداثة مثل إشـكاليات الهوية الجنسية في الثقافة الغربية، وتجنُّب معالجة إيديولوجيات ما بعد الاستعمار بهذا الاستسـلام لهيمنة أعراف المجتمع الغربي؛ لأنه ينتج أمرين، الأول: توقف حاسـة النقد ونزعتـه، والثـاني، تأطير قضية الشـذوذ بأنها : ما يتفق عليه العالم الآن فقـط، والاعتياد يخلق

التكلّس والتماهي مع القيم الغربية، وتصبح المعركة ليست في رفض التبشير بالشذوذ، بل في إيجاد قيم طرق تجعلنا نتقبل هذه الأُممية لكن بصوت غير مسموع، ومن ثم كسر الحاجز الخرساني بين الشذوذ الجنسي والخصوصيات الثقافية في أيِّ بلدٍ، من هذا التصور الحاكم في عولمة الشذوذ، المبني على حلم "أُممية" الشذوذ فإن تفكيك الخطاب الإعلامي من الأهمية بمكان لرصد مدى تمكنه من إخراج الهوية العربية والإسلامية من حساباته، وتصوير أي تيار مضاد مثل الحتمية الوطنية على أنه أمر معيب ومتناقض مع الحداثة.

على الجانب الآخر، وفي عرض قضيتنا في أن انتشار المعلومات والثقافة الشعبية الأمريكية أدى بشكل عام إلى زيادة الوعي العالمي والانفتاح على الأفكار والقيم الأمريكية، ويعكس هذا إلى حدٍّ ما "سياسات متعمدة"، لا يعني هذا التقليل من مساهمات الاتصالات المباشرة بين الأشخاص في عمليات تغيير المواقف والتصورات، في الواقع، قد تظهر بيانات ودراسات و تأثيرات مشتركة من جهات الاتصال الإعلامية وجهات الاتصال الشخصية، وربما حدث طريق آخر للتغيير، حيث أدَّت صور وسائل الإعلام الرقمية الجديدة إلى زيادة ظهور وتمثيل الشواذ واحتمالية خروجهم والكشف عن هوياتهم علنًا للأصدقاء والجيران وزملاء العمل، حتى داخل سياقات محلية متعددة.

النقاط التي تمَّ طرحها لها آثار على فهمنا لكيفية تشكيل تصور عالمي مُوحَّد للتواصل مع المجموعات المختلفة من الجمهور، حيثُ إنَّ الاتصالات مع مجموعة خارجية وتمثيلاتها الإعلامية، قد تتجاوز تأثيراتها أكثر من مجرد التفاعلات وجهًا لوجه معهم، لذلك ينبغي للباحثين والدعاة وصُنَّاع السياسات وقادة الرأي أن يأخذوا في الحسبان كيف يمكن للاتصال الثقافي من خلال وسائل الإعلام أن يُشكِّلَ تصورات الجمهور والآراء والقيم عبر الحدود تجاه قضية قد نراها بعيدة عن دائرة اهتماماتنا، ويظلُّ التلفزيون والسينما والإذاعة والإنترنت آليات اجتماعية قوية تتصلُ من خلالها الأجيال الشابة عالميًا بأقليات لم تكن مرئية من قبل، وعولمة السلوك الإنساني وتطبيع الهويات الشاذة بعدِّها أيديولوجية مُتفق عليها عالميًا.

لائحة المصادر والمراجع

- المحرج, ي. (2022, مج7). الأعمال الدرامية لمنصة Netflix وانعكاسها على القيم الثقافية والاجتماعية في الوطن العربي: دراسة نقدية للمسلسلات الأكثر مشاهدة في ضوء نظرية تحليل الإطار الإعلامي. مجلة العلوم والاتصال، كلية الإعلام، جامعة أم درمان.
- المسيري, ع. ا. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان . دار الفكر المعاصر.

- https://www.pewresearch.org/global/2020/06/25/global-divide-on-homosexuality-persists/. (n.d.).
- Boesveld,S.(2015).Becomingdisabledbychoice,notchance:'Transabled'peoplefeel like impostors in their fully working bodies. . National Post.
- Cooper, B. &. (2008, 25(3),). Framing Brokeback Mountain: How the popular press corralled the "gay cowboy movie". Critical Studies in Media Communication.
- Doherty, T. (1999). Pre-code Hollywood: Sex, immorality, and insurrection in American cinema, 1930-1934. Columbia University Press.
- Green, W. (1984, 30(1-2),). Torch Song Trilogy: a gay comedy with a dying fall., . Maske und Kothurn.
- Hamdan, S. (2015). Re-Orienting desire from with/in queer Arab shame: Conceptualizing queer Arab subjectivities through sexual difference theory in a reading of Bareed Mista3jil. Kohl: . A Journal for Gender and Body Research, 1(1).
- https://daily.jstor.org/one-the-first-gay-magazine-in-the-united-states . (n.d.).
- https://kohljournal.press/reorienting-desire-from-within. (n.d.).
- https://www.grin.com/document/337201. (n.d.).
- https://www.nytimes.com/2013/04/30/sports/basketball/nba-center-jason-collins-comes-out-as-gay.html. (n.d.).
- https://www.politico.com/story/2018/05/17/first-same-sex-marriage-in-us-may-17-2004-586604. (n.d.).
- https://www.refworld.org/docid/5072d0a92.html. . (n.d.).
- Inglehart, R. (2025). The silent revolution: Changing values and political styles among Western publics. . Princeton University Press.
- Massad, J. A. (2002). "Re-orienting desire: The gay international and the Arab world.". Public culture 14.2.
- Urschel, J. (2015). The Year of Fear: Machine Gun Kelly and the Manhunt that Changed the Nation. . Minotaur Books.
- Young-Schlee, M. (2023). "The Right to" Take Part in Cultural Life" and Censorship of Queer Media. . " Indiana International & Comparative Law Review 33.1.